نظرية الإغماء

بين تناقضات ديدات و سرقات غلام قاديان

كتبه: فؤاد العطار

لقد قامت نظريات و تفسيرات عديدة حول كيفية نجاة المسيح عليه السلام من الصلب. بعض التفسيرات هي للعلماء المسلمين أنفسهم و بعضها لغير المسلمين من نصارى و قاديانيين و غيرهم. و من عجائب هذا الزمان ترديد بعض المسلمين لبعض الآراء الدينية لغير المسلمين دون وزنها بميزان الإسلام و دون عرضها على المنطق السليم. و من تلك النظريات السقيمة ادعاء ميرزا غلام أحمد القادياني – نبي الطائفة القاديانية 1839م _1908م - بأن المسيح عليه السلام كان قد عُلق على الصليب لكنه أغمي عليه فتركه اليهود ظناً منهم بأنه مات. لكنه قام من قبره بعد الإغماء و هاجر إلى كشمير حيث عاش هناك ما يقرب من تسعين عاماً.

و قد ادعى غلام قاديان بأن الله أوحى له بهذا التفسير. لكن من الواضح أن الغلام كان قد سرق الجزء الأول من نظريته – و هو الإغماء على الصليب – من بعض المفكرين النصارى الذين كانوا قد قالوا بهذه النظرية من قبل. و قد انتشرت نظرية الإغماء تلك في أوروبا خلال القرن التاسع عشر فيما عرف بالنقد العصري للكتاب المقدس، و تفيد المصادر الكنسية بأن الألماني شلير ماخر في كتابه "حياة يسوع" الذي نُشر في بداية القرن التاسع عشر كان قد أنكر المعجزات وخاصة قيامة يسوع وذكر أنها رجوع إلى الوعي بعد إغماء طويل. و بالإستقراء نؤكد بأن كتاب المدعو شلير ماخر هو من أوحى للغلام بالفكرة وليس الله تعالى. وقد أيد هذه النظرية أيضاً في القرن التاسع عشر الناقد الألماني "فنتوريني" فربما يكون قد ساهم بدوره في هذا الوحي.

و من الذين تأثروا بنظرية الإغماء على الصليب الداعية أحمد ديدات –رحمه الله –و علي الجوهري (مترجم كتب ديدات). أما أحمد ديدات فكان يستخدم هذه النظرية في مناظراته و كتبه عن النصرانية. و اتضح جلياً تأثره بالكتابات القاديانية و اللاهورية و خاصة عندما ساق ما ادعاه من أدلة إنجيلية على نظرية الإغماء تلك. و قد ساق ديدات ثلاثين من تلك الإستنباطات في كتابه "صلب المسيح بين الحقيقة و الإفتراء". وقد تطابق 13 استنباطاً منها مع كل الإستنباطات التي ساقها محمد علي اللاهوري – أحد أتباع غلام قاديان – في تفسيره الباطني للقرآن الكريم و الذي ينفي فيه معجزات المسيح عليه السلام مثل ولادته من غير أب و تكلمه في المهد و إحيائه الموتى بإذن الله.

و قد سارع البعض إلى اتهام أحمد ديدات بأنه قادياني أو لاهوري خاصة بعد أن راجت إشاعات في بلده جنوب إفريقيا بأنه كان يوزع الترجمة الكافرة للقرآن الكريم و التي كتبها محمد أسد. مما اضطر أحمد ديدات أن يصدر توضيحاً حول هذا الأمر بتاريخ 23-7-1987م أكد فيه تكفيره لميرزا غلام أحمد القادياني. كما و أعلن تكفيره لكل أتباع الغلام من قاديانيين و لاهوريين. و نفى أن يكون قد قام بتوزيع تلك الترجمة المنحرفة للقرآن الكريم.

و نحن نستغرب من أولئك الذين أصروا على اتهام ديدات – رحمه الله – بالإنتماء للقاديانية مع أنه أصدر إعلان البراءة من تلك التهمة. و لا ندافع بهذا عن أخطاء ديدات و لكننا نقبل من الناس ظاهرهم و تصريحاتهم كما علمنا الإسلام. و نعرض كتاباته و كتابات غيره على كتاب الله و سنة رسوله. و للحق فإن الباحث في كتابات ديدات يجد أنه استعمل نظرية الإغماء فعلاً في معظم جداله مع النصارى. لكنه في كتابه "عيسى إله أم بشر أم أسطورة" ص 138 يقول:

((إن الذي صُلب هو شخص آخر يشبهه. أما إنجيل برنابا فيؤيد النظرية التي تقول أن شخصاً آخر قتل محله على الصليب. و هذا يتفق مع وجهة نظرنا نحن المسلمين. فهنا الشبهة التي حصلت بقتلهم شخصاً آخر يشبهه)).

و مع أن ما قاله لا يمثل وجهة نظر جميع المسلمين إلا أنه لا يتعارض مع القرآن الكريم. إذاً فهذا الكلام ينفي عن ديدات الإعتقاد بصحة نظرية الإغماء السخيفة. لكنه لا يعفيه من تبني تلك النظرية خلال جداله مع النصارى. فلا يجوز للمسلم أن يحتج بما يخالف القرآن الكريم في جداله مع الكفار. خاصة و أن كلام ديدات في مناظراته و كتبه يدعم بشدة تلك النظرية الظالمة التي لا تأبه بتأكيد القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام لم يوضع على الصليب.

و من الملاحظ أن نظرية الإغماء تعتمد كلياً على بعض النصوص الإنجيلية حول قصة صلب المسيح عليه السلام. و تضرب تلك النظرية بعرض الحائط كل النصوص التي ساقها كتبة الإناجيل أنفسهم حول أحداث قيامة المسيح و نزوله من السحاب بعد عملية الصلب و غيرها من الروايات التي لا تتفق أبداً مع فرضية الإغماء تلك. فكيف يصدق أولئك المقلدون روايات الصلب و يكذبون معظم الروايات في أحداث انشقاق حجاب الهيكل والصعود إلى السماء و الملائكة التي تدحرج الحجر عن القبر المفترض للمسيح..إلخ !!؟. يقول إنجيل متى مثلاً واصفاً اللحظة التي فارق فيها المصلوب الحياة

((وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين – إنجيل متى 51/27 - 53)). و هذه الأحداث لا يعترف بها أصحاب نظرية الإغماء أبداً فلماذا اعترفوا بتفاصيل عملية الصلب نفسها يا ترى ؟!!!. خاصة و أن الأناجيل نفسها تدعي هرب تلاميذ المسيح قبيل حادثة الصلب المزعومة !!. يقول إنجيل مرقس بخصوص تلاميذ المسيح:((فتركه الجميع وهربوا – مرقس 50/14)). فإن جاز تصديق التلاميذ لأمكن تصديقهم في أحداث ما بعد الصلب و ليس في أحداث الصلب نفسها. لكن أصحاب نظرية الإغماء يفعلون العكس تماماً. و لا ندري لماذا يلزمنا أصحاب تلك النظرية المتداعية أن نصدق تلك القصة التي لم يحضر أي من رواتها الأصليين الأحداث التي جرت فيها. بل إن اثنين من رواتها الأربعة – و هما مرقس و لوقا –لم يكونا من تلاميذ المسيح عليه السلام أصلاً و لم يروا المسيح أبداً فكيف تقبل شهادتهم في أمر جلل مثل قصة الصلب المزعومة !!. و كيف تقبل تفاصيل تلك القصة مع تناقض رواتها فيها و عدم معرفة الوسيلة التي حصلوا فيها على تلك التفاصيل كلها رغم غيابهم عن الحادثة ؟!!. ناهيك عن التناقضات في النسخ الموجودة للإنجيل الواحد نفسه. يقول أحد المحققين النصارى في تاريخ الأناجيل – اينوك باول – في كتابه " تطور الأناجيل " : ((قصة صلب الرومان للمسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل)). وقد استند في ذلك على إعادته ترجمة نسخة إنجيل متى اليونانية، فتبين له أن هناك أجزاء وردت مكررة في هذا الإنجيل، مما يوحي بأنه أعيدت كتابتها في مرحلة تالية.

و نحن إذ نلوم النصارى على تبني بعضهم تلك النظرية الغبية فإننا نستهجن أيما استهجان أن يتبناها من يعلن إسلامه و إيمانه بكل ما أخبر به القرآن الكريم. خاصة و أن من النصارى أنفسهم من اضطر إلى الإعتراف العلني بأن الإنجيل الذي بين أيدينا تعرض إلى التحريف و التبديل. و كلام المحقق اينوك باول مثال واضح على ما نقول. و نضرب على هذا مثالاً آخر و هو ما خلص إليه أصحاب كتاب " The Holy Blood and The Holy Grail" حيث قالوا مثلاً في صفحة 279:

((إن الكتاب المقدس – كما هو عليه اليوم – إن هو إلا نتاج لعملية انتقائية و تعسفية نوعاً ما. ليس هذا و حسب و إنما خضع إلى شيء من التحرير و الحذف و التنقيح)).

و ما صلبوه

و إن كان التناقض هو ظاهر حال أحمد ديدات فيما يتعلق بنظرية الإغماء فإن موقف مترجم كتبه إلى العربية – علي الجوهري – كان واضحاً لا غموض فيه. فقد دافع الجوهري بشدة عن نظرية الإغماء التي ساقها أحمد ديدات في كتابه "صلب المسيح بين الحقيقة و الإفتراء" و الذي ترجمه الجوهري بنفسه إلى العربية. و قد كان الجوهري شديد الحماس لتلك النظرية إلى درجة أنه عاب على المسلمين عدم تبنيها !!. و يرى الجوهري أن هذه النظرية لا تعارض الآية الكريمة ((و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم – سورة النساء 157)) و هو بهذا يوافق القاديانيين و اللاهوريين في تفسيراتهم الباطنية للقرآن الكريم. و مما قاله علي الجوهري تأييداً لهذا التفسير الشاذ ما يلي:

((جدير بنا أن ندقق في معنى الفعل المبني للمجهول (صُلب). يقال عن شخص إنه صُلب إذا كان مات على الصليب ويقال عن شخص إنه أُغرق إذا كان قد مات إغراقاً تحت الماء، أما إذا كان حاول بعض الناس إغراق شخص تحت سطح الماء بهدف قتله و لم يمت هذا الشخص تحت الماء لأي سبب فإنهم لم يغرقوه. يجوز أن يكونوا قد شرعوا في قتله بإغراقه، ولكنهم في حقيقة الأمر (ما قتلوه وما أغرقوه)، حيث أنه لم يمت تحت سطح الماء من جراء إغراقهم له، في محاولتهم قتله تحت سطح الماء. وهكذا لو وُضِع شخص على الصليب و لم يمت من جراء الصلب لا يجوز أن نقول عنه أنه صُلب. ربما كان هذا شروعاً في قتله صلباً، ولكنهم (ما صلبوه). كتاب "هل مات المسيح على الصليب؟" ترجمة على الجوهري. ص 16)).

قلت: إن هذا التفسير يخالف اللغة و المشاهدة. فمعلوم أن الإغراق و الصلب و الرمي بالرصاص و الذبح و الشنق و الصعق كلها أساليب للموت و ليست الموت نفسه. فلو أنك رميت شخصاً بالرصاص على رأسه فأصبته و لم يمت لما كان لك أن تقول (لم أرمه بالرصاص و لم أقتله) لأنك فعلياً رميته بالرصاص و لم تقتله. و كذلك لو صعقته بالكهرباء أو أغرقته في الماء أو ذبحته و نجى. فلا يقبل القاضي منك أن تقول لم أغرقه و لم أصعقه و لم أذبحه. لكنه يقبل منك أن تقول (لم أقتله) و حسب. لذلك نرى الأحكام بالإعدام (شنقاً حتى الموت) أو (رمياً بالرصاص حتى الموت) و هكذا لأن هذه أساليب للموت و ليست الموت نفسه. فكيف بالصلب الذي هو و سيلة طويلة شاقة للموت.

و لا أدري لماذا يطلب منا علي الجوهري أن ندقق في الفعل المبني للمجهول (صُلب) مع أنه لم يرد في الآية الكريمة إلا الفعل الماضي !! و لا أدري كيف يدعي أن الإغراق هو القتل مع أننا نسمع عن إغراق السفن و القوارب. فهل للسفن أرواح كما للبشر؟ فالمعلوم أن الإغراق هو الإنزال قسراً تحت

الماء. فإغراق السفن و الركاب يكون بإنزالهم قسراً تحت الماء و لا بد. و قد ينتشل المنقذون تلك السفن فتجري في البحر مرة أخرى. و قد ينقذ الناس أولئك الركاب بعد أن أغرقوا فينجون. و قد ظهر تناقض الجوهري جلياً حين قال ((يجوز أن يكونوا قد شرعوا في قتله بإغراقه..)) فهو في جملته هذه يستعمل الإغراق كوسيلة للقتل فقط لا تعني الموت أو القتل نفسه. و لو كان يعني بالإغراق القتل نفسه لجاز لنا أن نسوق جملة الجوهري تلك بقولنا ((يجوز أن يكونوا شرعوا في قتله بقتله)) و هذا كلام سخيف لا يقوله عاقل. و الأمر نفسه ينطبق على جملة الجوهري التالية ((حيث أنه لم يمت تحت سطح الماء من جراء إغراقهم له)). فإن كان الإغراق يعني القتل حقاً فهل لنا أن نصوغ الجملة بقولنا ((حيث أنه لم يمت تحت سطح الماء من جراء قتلهم له))؟!!

و من الطريف أنني شاهدت فيلما و ثائقياً عن عمليات جراحة الأعصاب. حيث قام الجراح بفصل رأس قرد عن جسده و تركيب رأس قرد آخر مكانه. و عاش القرد بعدها فترة من الزمن. فهل يجوز للجراح أن يقول و قتها (لم أقطع رأسه و لم أقتله) لمجرد نجاة القرد من الموت؟ فتأمل.

و الأمثلة اللغوية على أن الصلب وسيلة للموت و ليس هو الموت نفسه كثيرة. و نكتفي هنا بكلام أفصح العرب رسول الله صلى الله عليه و سلم. ففي صحيح مسلم حديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يحكي فيه قصة أصحاب الأخدود. و فيها أن الملك صلب الغلام ثم قام بقتله بعد ذلك. و هو ما يدل على أن الصلب وسيلة للموت و ليس هو الموت نفسه. و هذا جزء من الحديث كما ورد في صحيح مسلم:

((.. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد **وتصلبني على جذع** ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام **ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني**. فجمع الناس في صعيد واحد **وصلبه على جذع** ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام. ثم رماه فوقع السهم في صدغه **فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات**. فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام ..)).

و ما دام الصلب أسلوب للموت و ليس هو الموت نفسه فإن نفي الله تعالى لوقوع عملية الصلب هو نفي لوقوع أسلوب الموت و لا بد. فهم لم يرفعوا المسيح عليه السلام على الصليب قط.

و الأناجيل نفسها التي يحتج بها أصحاب نظرية الإغماء تتعامل مع الفعل "صلَبَ" بمعنى التعليق على الصليب بغض النظر عن تحقق الموت من عدمه. و إليك ما تقوله الأناجيل الأربعة:

(**1**) يقول إنجيل يوحنا:

((ثم ان العسكر لما كانوا قد **صلبوا يسوع** اخذوا ثيابه وجعلوها اربعة اقسام لكل عسكري قسما — إنجيل يوحنا 23/19)) ثم يقول بعد ذلك بقليل : ((فلما رأى يسوع امه والتلميذ الذي كان يحبه واقفا قال لامه يا امرأة هوذا ابنك – إنجيل يوحنا 26/19)). ثم يقول بعد ذلك ((فلما اخذ يسوع الخل قال قد اكمل .ونكس راسه واسلم الروح – إنجيل يوحنا 30/19)). فجملة (صلبوا يسوع) لم تعنِ لأحد بأنه قد فارق الحياة.

(**2**) يقول إنجيل متى:

((ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها — إنجيل متى 35/27)). و بعد عدة أحداث قال متى ((فصرخ يسوع ايضا بصوت عظيم واسلم الروح – إنجيل متى 50/27)). فجملة (صلبوه) لم تعنِ لأحد بأنه قد فارق الحياة.

(**3**) يقول إنجيل مرقس:

((ولما **صلبوه** اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد — إنجيل مرقس 24/15)). و بعد ذلك بقليل يقول مرقس ((فركض واحد وملأ اسفنجة خلا وجعلها على قصبة وسقاه قائلا اتركوا .لنر هل يأتي ايليا ليتزله. فصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح – إنجيل مرقس 36/15-37)). فجملة (صلبوه) لم تعنِ لأحد بأنه قد فارق الحياة.

(**4**) يقول إنجيل لوقا:

((ولما مضوا به الى الموضع الذي يدعى جمجمة **صلبوه** هناك مع المذنبين واحدا عن يمينه والآخر عن يساره .— إنجيل لوقا 33/23)). و بعد ذلك بقليل يقول لوقا ((واظلمت الشمس وانشقّ حجاب الهيكل من وسطه . ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا ابتاه في يديك استودع روحي .ولما قال هذا اسلم الروح – إنجيل لوقا 45/23-46)). فجملة (صلبوه) لم تعنِ لأحد بأنه قد فارق الحياة.

أما من تبنوا نظرية الإغماء – ممن يدعون الإيمان بالقرآن الكريم – ففهموا من الأناجيل كلها أن جملة "صلبوه" تعني "علقوه على الصليب". لكنهم فهموا من نفس الجملة "صلبوه" في القرآن أنها تعني "قتلوه". و نحن نفهم قبول القاديانيين و اللاهوريين لهذه الباطنية و التناقض فدينهم دين الطاغوت المتناقض المليء بالسخافات. لكننا نعجب ممن يدين عبيد غلام قاديان لكنه يقلدهم فيما اقترفوه من تفسير أعوج لهذه الآية الكريمة.

أما الفعل "صَـــلـــَبَ" في القرآن فلم يأت إلا بمعنى "علق على الصليب"، لكن السياق في الآيات أفاد بأن المفعول به قد مات أو أنه يجب أن يموت، و أنا أورد هنا الآيات الأخرى التي ورد فيها الفعل صلب:

((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) المائدة 33

الآية فيها تخيير للحاكم المسلم بإقامة إحدى العقوبات المذكورة حسب حال المحارب. و الراجح أن الصلب يكون إذا جمع الشخص جريمة القتل إضافة إلى جريمة الحرابة، و الصلب يكون بعد القتل حتى لا يحال بين المصلوب و بين الصلاة. و الله أعلم.

و قد اختلف العلماء في صلب المحارب، فمنهم من رأى القتل ثم الصلب، و منهم من رأى الصلب ثم القتل، و قال بعض أهل الظاهر أن الصلب هنا يكون بدون قتل، و نفوا أن يكون الصلب هو القتل لأن المصلوب برأيهم يموت حتف أنفه، و لا يجوز إنزاله عن الصليب حياً لأن الله لم يذكر مدة محددة للصلب ((و ما كان ربك نسياً))، لكن الواجب دفن الميت في النهاية عملاً بالأوامر الأخرى الواردة في هذا الشأن.

و قد روي عن الشافعي أنه أفتى بصلب المحارب لثلاثة أيام بعد قتله ليكون عبرة لغيره. وقَال أَبو يوسف : إِذا أَخذ المال وقتل صُلبَ وَقتِلَ عَلَى الْخشبَة ; قَال اللّيث : يقتل بِالْحربة مصلوبا . وقَال أَبو حنيفة : إِذَا قَتَلَ قُتِلَ ، وإِذا أَخذ الْمال ولَم يَقتل قُطِعَت يَده ورجله من خلاف، وإِذا أَخذ المال وقَتَل فَالسلطَان مخيَّر فيه ، إِن شاء قَطَعَ يده وَرِجله وَإِنْ شَاءَ لَم يقطع وقَتَلَه وَصلَبَهُ. و روي هذا أيضاً

عن ابن عباس رضي الله عنه. و قال الإمام الطبري رحمه الله بأنه ليس للحاكم أن يصلب المحارب حياً و يتركه على الخشبة مصلوباً حتى يموت من غير قتله، و ادعى الطبري الإجماع على هذا بينما الحقيقة أن هذا هو رأي الجمهور.

فجمهور العلماء لم يقولوا بترك المحارب ليموت على الصليب بل الحاكم مخيربقتله ثم تعليقه على الخشبة أو قتله بدون تعليقه. و هذا هو الأولى و الله أعلم. و لا ينبغي تعليق الشخص على الصليب لفترة ثم إنزاله حياً لأن الصلب و سيلة للقتل، فما دامت مذكورة للعقاب فلا ينبغي صرف الوسيلة إلى التعذيب فقط، خاصة و أن المصلوب ستفوته الصلوات إن بقي حياً على الصليب. قال الشافعي (أَكرَه أَنْ يُقْتل مَصلُوبا لِنَهيِ رَسُول اللَّه صَلّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم عن الْمُثلَة). و من ناحية أخرى فإن الصلب يلجأ إليه إن جمع المحارب بين جريمتي القتل و الحرابة، فلا يجوز إسقاط حد القتل عن المحارب القاتل، فيجب قتله قبل أو بعد صلبه.

و من العلماء من قال بأنه لا يجوز الجمع بين عقوبتين للحرابة في وقت واحد لأن الآية تعطي الخيار للحاكم باختيار عقوبة واحدة فقط، و هذا القول صحيح، لكن الناظر إلى تطبيقات الفقهاء لا يراهم يجمعون أكثر من عقوبة للحرابة بل هم يجمعون بين عقوبة واحدة للحرابة و عقوبات أخرى للجرائم التي قد يكون المحارب قد اقترفها. فإن جمع المحارب بين جريمتي الحرابة و القتل جاز لنا قتله حداً لجريمة القتل ثم صلبه حداً لجريمة الحرابة. أما قتله على الصليب فجائز و الله أعلم إن كان بطريقة تنفيذ قصاص القتل، أما طعنه بالحربة أو ما شابه ذلك فلا ينبغي لأننا مأمورون بالإحسان في كل شيء.

((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تستفتيان)) – سورة يوسف 41

واضح من الآية أن الرجل الذي سوف يصلب لن يترل عن الصليب حياً، فالطير لا تأكل من رأس الحي على الصليب بل تجرؤ على ذلك بعد موته و تحلل جسده

و لو قال (و أما الآخر فيلقى في البحر فتأكل الأسماك من رأسه) لفهمنا أيضاً أنه سيقتل، مع أن الإلقاء في البحر لا يعني الموت بالضرورة.

((قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى)) – سورة طه 71

هدد فرعون السحرة الذين أسلموا بتقطيع الأعضاء من خلاف و من ثم تعليقهم على الصلبان ليتعفنوا هناك، و ذلك ظاهر من تهديده بالعذاب الشديد الباقي، فلا يتصور أنه كان ينوي إنزالهم عن الصليب أحياء و ينجوا بفعلتهم.

و لو قال لهم فرعون (و لأدقــَن أجسادكم في جذوع النخل و لتعلمن أينا أشد عذاباً و أبقى) لفهمنا أيضاً أنه لن يتركهم أحياء بعد تعليقهم، و إلا لما كان تهديده شديداً. و كذلك لو قال لهم (و لألقينّ أجسادكم في الصحراء ..) فإننا سنفهم من تهديده أنه سيتركهم هناك ليموتوا حراً و جوعاً و عطشاً، و هكذا.

إذاً فالفعل "صَــلــَبَ" في القرآن لم يأت بمعنى قتل، و لكن السياق أفاد بموت الضحية، و أنا أريد أن أقارن بين الفعل "صلب" و الفعل "جلد" حيث ألفت انتباه القاريء الكريم إلى الآيتين التاليتين:

(1) قال تعالى ((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً – سورة النور: 4)) لنتفكــّر قليلاً في هذه العقوبة "الجلد".

الجلد هو وسيلة للعقاب الهدف منها التعذيب أو الإيلام. و لو قام أحدهم بجلد شخص ما لكنه لم يؤلمه لما استطعنا أن ننفي ان الشخص قد جــُلــِد. لكن سياق الآية يبيّن الغاية من جلد الذين يقذفون المحصنات و هو التعذيب و الإيلام حيث أنّ الجلد في العادة وسيلة للتعذيب.

لذلك لا يجوز للمسلمين مثلاً أن يقوموا بتخدير القاذف قبل جلده و معالجة جروحه قبل أن يصحو من التخدير. و لو فعلوا فجلدوه و هو تحت البنج أو المخدّر لما استطاع شخص أن ينفي أنهم قد جلدوه بالفعل. لكن سياق الآية يذكر وسيلة للتعذيب فلا يجوز استخدامها هنا بدون التعذيب بلا قرينة.

(2) و قال تعالى ((إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ

يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ – سورة المائدة : 34)). لنتفكر قليلاً في هذه العقوبات "التصليب" و "تقطيع الأيدي و الأرجل".

التصليب في الآية هو وسيلة للعقاب الهدف منها هو القتل في النهاية. و لو قام أحدهم بدق جسد شخص على الصليب لكنه لم يقتله لما استطعنا أن ننفي أن الشخص قد صـــُلـــــِّب. لكن سياق الآية يبين الغاية من تصليب المحاربين لله و رسوله و هو القتل بعد الصلب أو الصلب بعد القتل، حيث أن التصليب في العادة هو وسيلة للقتل أو التشهير و الإهانة ليعتبر الآخرون.

و كذلك الحال بالنسبة لتقطيع الأطراف من خلاف فهي وسيلة للتعذيب الشديد و إلحاق عاهة بالمعاقَـــَب. و لو قام أحدهم بتخدير شخص و تقطيع يديه و رجليه من خلاف ثمّ إعادتها عن طريق عملية جراحية لما استطعنا أن ننفي أن الشخص قد قطّعت أطرافه من خلاف. لكن سياق الآية يبين الغاية من تقطيع الأطراف و هو التعذيب حيث أن تقطيع الأطراف من خلاف هو في العادة وسيلة للتعذيب.

و الناظر إلى الآية (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ) يدرك أن الآية تنفي أمرين اثنين عن المسيح عليه السلام هما القتل و الصلب و ليس "القتل و القتل"

إذاً فالفعل "صَـــلـــَبَ" يعني "علّـــق على الصليب"، و هذا المعنى اتفق عليه علماء اللغة و الفقهاء في القديم و الحديث، و لم يخالفه إلا الهندي ميرزا غلام أحمد القادياني و من قلده من بعده. و أنا أورد هنا **معنى الفعل "صَـــلـــَبَ" في بعض المعاجم و القواميس العربية القديمة و الحديثة:**

1. **المحيط** (تأليف أديب اللجمـــي–شحادة الخوري –البشير بن سلامة–عبد اللطيف عب– نبيلة الرزاز)

صَلَبَ يَصْلُبُ صَلْبًا:– تِ الحُمَّى: اشتدَّتْ وطالت؛ صلبته الشمس/ صلبه الحَرُّ. – اللَّحمَ: شواهَ واستخرج دسمه. – الجانيَ: **علَّقه ممدودَ اليـــدين مشدودَ الرِّجْلين.**

2. **الوسيط** (مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية)

صَلَبَ – [ص ل ب) . صَلَبْتُ، أَصْلِبُ، اِصْلِبْ (أَصْلُبُ، اُصْلُبْ)، مص. صَلْبٌ. "صَلَبَهُ عَلَى لَوْحٍ":

شَدَّهُ، أَيْ أَوْثَقَ يَدَيْهِ مَمْدُودَتَيْنِ وَرِجْلَيْهِ مَشْدُودَتَيْنِ

3. **لسان العرب** (لابن منظور محمد بن مُكرَّم بن عليّ بن أحمد بن حبقة الأنصاري الإفريقي)
صلب: جعله مصلوباً
المصلوب : **المعلَّق على الصليب**

و لكن شبه لهم

أما قوله تعالى (و لكن شبه لهم) فوردت فيه عدة تفسيرات. و أستشهد هنا بأحد التفسيرات المهمة لهذه الآية الكريمة و هو ما أورده ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل و الأهواء و النحل) حيث يقول رحمه الله : ((إنما عنى بذلك تعالى أن أولئك الفسّاق الذين دبروا هذا الباطل وتواطئوا عليه أنهم كذبة، وهم شبّهوا على من قلّدهم وكذبوا عليهم. فأخبروهم أنهم صلبوه و قتلوه و هم كاذبون في ذلك. عالمون أنهم كذبة. – الفصل. الجزء الأول ص 76)).

ثم يضرب ابن حزم مثالاً بحادثة حصلت معه شخصياً. حيث حضر هو و جمع غفير من الناس دفن المؤيد هشام بن الحكم المستنصر. فرأى هو و غيره شخصاً مكفناً في نعش. و صلى عليه ابن حزم مع الآلاف من الناس. لكن المؤيد ظهر بعد حوالي سبعة شهور حياً و بايعه الناس بعد ذلك على الخلافة.

و يضيف ابن حزم في شرح جملة ((شبه لهم)) قائلاً: ((إنما هو إخبار عن الذين يقولون بتقليد أسلافهم من النصارى و اليهود: أنه عليه السلام قتل و صلب. فهؤلاء شبه لهم القول. أي أدخلوا في شبهة منه. و كان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت و شرَطهم المدعون لهم أنهم قتلوه و صلبوه و هم يعلمون أنه لم يكن ذلك. و إنما أخذوا من أمكنهم فقتلوه و صلبوه في استتار و منع من حضور الناس. ثم أنزلوه و دفنوه تمويهاً على العامة الذين شبه لهم الخبر– الفصل. الجزء الأول ص 77)).

و هناك تفسيرات عديدة لمسألة التشبيه على الناس في مسألة الصلب. و نلخص التفسيرات التي تستحق الدراسة و لا تعارض القرآن الكريم بما يلي:

(1) لم يصلب اليهود أحداً لكنهم ادعو ذلك ليشبهوا على من قلدهم و يكذبوا عليهم بعد أن نجى الله المسيح عليه السلام من مكرهم.

و يقوي هذا الإحتمال ما نقله إنجيل يوحنا بأن يسوع تحدى اليهود بأنهم سيطلبونه ولا يجدونه ((فقال لهم يسوع انا معكم زمانا يسيرا بعد ثم امضي الى الذي ارسلني .ستطلبونني ولا تجدونني وحيث اكون انا لا تقدرون انتم ان تأتوا – يوحنا 7/34-35)).

و نتساءل الآن: ماذا لو عرف اليهود بأنه عليه السلام قد مات و دفن أو اختفت جثته قبل أن يقبضوا عليه؟

لا بد بأنهم سيتبجحون بأنهم هم الذين قتلوه بل بأنهم قد صلبوه ليلعنوه.

(2) صلب اليهود واحدا من الناس و ادعوا أنه هو المسيح بن مريم عليه السلام ليشبهوا الأمر على الناس بعد أن نجى الله نبيه عليه السلام. و هذا التفسير هو ما ذهب إليه ابن حزم و غيره.

و ذهب قريباً من هذا الإستنتاج النصراني ملمن في كتابه " تاريخ الديانة النصرانية " حيث يقول : ((إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس، وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدقهم القرآن)).

(3) صلب اليهود أحد تلاميذ المسيح عليه السلام الذين افتدوا نبيهم بأنفسهم. فادعى التلميذ بأنه هو المسيح عليه السلام عندما طلبه الجنود. فشبه الأمر لليهود بأن ظنوا أنهم صلبوا المسيح عليه السلام و قتلوه. و ذهب إلى هذا التفسير الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه. و اختاره بعض المفسرين أمثال ابن كثير و غيره. و يقوي هذا التفسير ما أوردته الأناجيل نفسها عن الذين جاءوا للقبض على المسيح عليه السلام. حيث كان من الواضح أنهم لم يكونوا على علم بشكله فقد احتاجوا لعلامة من يهوذا الذي أسلمه ليعلموا من هو الشخص المطلوب. و العلامة هي أن يقبّل يهوذا اليسوع. يقول إنجيل مرقس مثلاً: ((وكان مسلمه قد اعطاهم علامة قائلا الذي اقبّله هو هو. أمسكوه وامضوا به بحرص. فجاء للوقت وتقدم اليه قائلا يا سيدي يا سيدي .وقبّله . فألقوا ايديهم عليه وامسكوه – إنجيل مرقس 14/44-45-46)). أما إنجيل يوحنا فيوضح بجلاء أن الشخص المقبوض عليه هو من ادعى أنه المسيح عليه السلام حيث لم يعلم الجنود و لا خدام اليهود شكله. يقول يوحنا: ((فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . فخرج يسوع

وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون . اجابوه يسوع الناصري .قال لهم يسوع انا هو .وكان يهوذا مسلمه ايضا واقفا معهم – إنجيل يوحنا – 18/3-4-5))

قال بعض المفسرين بأن المصلوب هو جرجس و قال آخرون بأنه شمعون. و قال البعض بأن الله جعل اليهود يرونه على هيئة المسيح عليه السلام. و يؤيد هذه القصة ما ورد في إنجيل توما. و النسخ المكتشفة من إنجيل توما تعود إلى حوالي العام 150م كما قدر بعض خبراء المخطوطات. و يرجع المحقق كويستر هذا الإنجيل إلى منتصف القرن الأول الميلادي، وأرجعه المحقق كيسيبل إلى العام 140م. و يذكر إنجيل توما بعد أن وضّح بأن بديلاً عن المسيح عليه السلام هو من صُـــلب – و الكلام على لسان سيدنا عيسى عليه السلام كما يرويه توما:

((لم أخضع لهم كما أرادوا . و أنا لم أمت في الواقع بل في الظاهر لكيلا يلحقوا بي العار. لأن موتي الذي ظنوا أنهم أوقعوه بي إنما أوقعوه بأنفسهم في خطئهم و العمى. إذ مسمروا رجلهم على موتهم . لقد كان شخصاً آخر الذي شرب المر و الخل. لم يكن إياي. ضربوني بالقصب ! لقد كان شخصاً آخر هو شمعون. الذي حمل الصليب على كتفه. لقد كان شخصاً آخرالذي وضعوا على رأسه التاج و الشوك. و أنا كنت أضحك من جهلهم — كتاب The Holy Blood and The Holy Grail)).

(4) صلب اليهود أحد الذين وشوا بالمسيح عليه السلام بعد أن جعل اليهود يرونه على صورة المسيح عليه السلام. فظنه اليهود بأنه هو المسيح عليه السلام فصلبوه و قتلوه. فشبه الأمر لليهود بأن ظنوا أنهم صلبوا المسيح عليه السلام و قتلوه. و يؤيد هذه القصة ما ورد في إنجيل برنابا. فقد ادعى إنجيل برنابا أن الله ألقى شبه عيسى على يهوذا وأنه رُفع إلى السماء. و قد مهد لدعواه باعلان أن المسيح عليه السلام سوف يحيا إلى نحو منتهى العالم ، وأن جبريل قد أخبره بخيانة يهوذا. ثم أعلن يسوع أن الله سيصعده من الأرض وسيغير منظر الخائن (يهوذا) حتى يظنه كل أحد أنه يسوع (برنابا 112 :15). ثم يؤكد إنجيل برنابا القول بأن المسيح عليه السلام لم يوضع على الصليب أبداً ، بل القى الله شبهه على يهوذا الاسخريوطي فصلب بديلا عنه. و مما قاله برنابا:

((الحق أقول إن صوت يهوذا و شخصه ووجهه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه و المؤمنون به كافة أنه يسوع – إنجيل برنابا : تحقيق سيف الله أحمد فاضل ص 292)).

أما إنجيل بطرس فيقول عن يسوع ما يلي: ((رأيته يبدو كأنهم يمسكون به، وقلت: ما هذا الذي أراه يا سيد ؟ هل هو أنت حقاً من يأخذون ؟.. أم أنهم يدقون قدميّ ويديّ شخص آخر؟.. قال لي

المخلص.. من يُدخلون المسامير في يديه وقدميه هو البديل، فهم يضعون الذي بقي في شبهة في العار ! انظر إليّ، وانظر إليه)).

و يقوي هذه القصة تناقض الروايات الأخرى في نهاية يهوذا الإسخريوطي. فيقول مثلاً إنجيل متى عن يهوذا ((فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه – إنجيل متى 2/27-5)). فإنجيل متى يؤكد موت يهوذا قبيل عملية الصلب المزعومة و لم تذكر الأناجيل الثلاثة الأخرى – مرقس و يوحنا و لوقا – أي شيء عن نهاية يهوذا مع أنه شخصية هامة في تلك الأحداث. بينما يحكي سفر أعمال الرسل نهاية أخرى ليهوذا فيقول: ((وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها، وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم، حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما، أي حقل دم – أعمال الرسل 1/16-20)). إذاً فهناك غموض و تناقض واضح حول حقيقة نهاية يهوذا.

و من الملاحظ أن غلام قاديان نفسه كان قد وصف إنجيل برنابا بأنه وثيقة تاريخية هامة و بأن النصارى رفضوه بلا دليل. يقول غلام أحمد القادياني في كتابه (المسيح الناصري في الهند):

> هذا، وثمة أمر آخر جدير بالذكر، ألا وهو أنه قد ورد في إنجيل برنابا، الذي توجد بالأغلب نسخة منه في مكتبة لندن الشهيرة، أن المسيح لم يمت مصلوبًا. وهنا يمكننا أن نستنتج أن هذا الإنجيل – الذي لم يُعَدَّ من بين الأناجيل بل رُفض دونما دليل– كتاب قديم معاصر لسائر الأناجيل الأخرى بلا شكّ. ألا يحق لنا، والحال هذه، أن نستفيد من هذا الكتاب العتيق باعتباره مرجعًا تاريخيًّا هامًّا يضم أحداث العصور القديمة؟ أَوَ ليس أقلّ ما يُفيد هذا الكتابُ أنه لم يتّفق كل الناس في ذلك الوقت على أن المسيح عليه السلام مات على الصليب.

و قد أوهم القاريء هنا بأن إنجيل برنابا يؤيد ما ذكره الغلام بأن المسيح عليه السلام قد وضع على الصليب فعلاً لكنه أغمي عليه فظن اليهود بأنه مات. و أنا أرى أن الغلام نقل هذه المغالطة من نفس المكان الذي نقل منه نظريته عن إغماء المسيح عليه السلام. فيبدوا أن المنادين بهذه النظرية في الغرب لم يكونوا على اطلاع على إنجيل برنابا بل علموا أنه ينفي صلب المسيح عليه السلام فظنوا أنه ينفي موته فحسب و لم يعلموا أن إنجيل برنابا ينفي أن المسيح عليه السلام قد وضع على الصليب أصلاً.

و الناظر إلى التفسيرات الأربعة أعلاه يرى عدم تعارضها مع الآية ((و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم – سورة النساء 157)). لكن النظريتين الأخيرتين تعتمدان في الأغلب على أناجيل النصارى الذين

لا نصدقهم في ادعاءاتهم. و لا نكذبهم حيث لم يخالفوا في قصتهم عن شبيه المسيح نصاً من نصوص الشريعة الإسلامية من قرآن أو حديث.

أما بالنسبة للترجيح العقلي بين التفسيرات فإن التفسيرين (3) و (4) مستبعدين في حال لم يصلب اليهود أحداً بل شبهوا على الناس بادعائهم ذلك. أما إن كانوا قد صلبوا أحداً ما و ظنوه المسيح فيكون كلا التفسيرين مقبولاً عقلاً و شرعاً لأن الله قادر على كل شيء.

أما اعتراض القاديانيين بأن ((جملة (شبه لهم) لا تعني بالضرورة إلقاء الشبه على شخص آخر في حال أن اليهود قد ظنوا المصلوب هو المسيح عليه السلام)) فهو قول مرفوض عقلاً في حال أن اليهود كانوا فعلاً قد صلبوا شخصاً ما و رأوه على هيئة المسيح. فعملية الصلب تكون بتثبيت الضحية على الصليب بالمسامير أو بغيرها لفترة طويلة. و هذه العملية لا يمكن الإشتباه بوقوعها فهي كالذبح و لا شك. أما القتل بالرمي بالرصاص فقد يصيب عائقاً على جسد الضحية فينجو. و بهذا لا يمكن (عقلياً) تأكيد نجاة شخص من وقوع عملية التعليق على الصليب أو عملية الذبح عليه بعد أن يكون قد رفع فعلاً على الصليب أو قد قطع حلقومه أو رأسه إلا بوقوع هذه العملية على شخص آخر.

و أنا هنا أسوق هذا الإفتراض التالي للتوضيح فقط:
لو كان اليهود قد ذبحوه شخصياً بقطع حلقومه أو رأسه لكنه أغمي عليه ونجى بعد ذلك. ثم قال شخص بأن اليهود (ما ذبحوه و ما قتلوه و لكن شبه لهم) لما كان كلامه صحيحا لأن الحقيقة ستكون وقتها هي أنهم (ذبحوه و لكن شبه لهم أنهم قتلوه). و إذا كان المخبر صادقا بقوله (ما ذبحوه و ما قتلوه و لكن شبه لهم) فإن أي عاقل سيعلم بأنهم إما قد ذبحوا غيره و ظنوه المسيح عليه السلام أو ادعوا أنه المسيح. أو أنهم لم يذبحوا أحداً أصلاً و ادعى البعض بأنهم ذبحوا المسيح عليه السلام. هذا الإفتراض سقته لتقريب الموضوع إلى الأذهان باستخدام وسيلة أخرى للقتل هي الذبح بدلاً من الصلب.
و هذا دليل عقلي لا يحتاج لغيره. فكيف إذا وجد مرجع تاريخي هام كإنجيل برنابا – على حد وصف الغلام نفسه – أو إنجيل توما ليؤكد بأن عيسى عليه السلام لم يوضع على الصليب قط. و أنا لا أجزم هنا بصحة قصة برنابا أو قصة توما لأن القرآن و السنة لم يحددا كيفية نجاة المسيح عليه السلام. بل نفيا أن يكون المسيح عليه السلام قد صلب أو قتل. و لكننا نستأنس بهذه الشهادة التاريخية التي نفت حدوث عملية الصلب للنبي نفسه. و إنجيل برنابا هو الإنجيل المتبقي الوحيد الذي يذكر نبينا (محمد) صلى الله عليه و سلم باسمه و بأنه (آخر الأنبياء) مما يؤكد بأن إنجيل برنابا هو أقل الأناجيل الموجودة تعرضاً للتحريف.

و كما قلت سابقاً فإن لجوءنا العقلي لهذا التفسير (أي قتل شبيه للمسيح) هو فقط في حال ثبت صحة الإدعاء بأن اليهود كانوا قد صلبوا شخصاً ما و حسبوه المسيح عليه السلام. فقد يكون الواقع شيئاً آخر. و هذا كله غيب لا نقطع به بدون خبر ثابت عن الله تعالى. لكن لنا أن نحلله حسب المعلومات المتوفرة. أما إن كان اليهود قد شبهوا للناس بأنهم قد قتلوا المسيح عليه السلام إما باختلاق القصة أو بصلب شخص آخر و الإدعاء بأنه المسيح عليه السلام – إن كان هذا هو ما حدث – فإنه أيضاً يوافق إخبار الله عنهم بأنهم ما صلبوا المسيح عليه السلام و ما قتلوه و لكن شبه لهم.

و يعترض القاديانيون مرة أخرى فيدّعون أن قصة تعليق المسيح عليه السلام على الصليب حقيقة تاريخية متواترة و لا يجوز إنكارها. لكن الناظر إلى الوثائق التاريخية لا يجد أي دليل تاريخي موثوق يؤكد قصة وضع المسيح عليه السلام على الصليب. لكنه سيجد في كتب التاريخ و كتب النصارى أنفسهم تأكيدات بأن كثيراً من الطوائف النصرانية ظلت تعتقد طوال القرون الأولى بأن المسيح عليه السلام لم يعلق على الصليب قط.

فمثلاً يقول القديس الفونسوس ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: ((إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشح ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود)). و يقول المفسر جون فنتون شارح إنجيل متى: ((إن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلاً من يسوع)).

و قد ظهرت كثير من الفرق المسيحية – بين عهد المسيح عليه السلام و ظهور الإسلام – التي كانت تنكر حدوث عملية الصلب تلك. و من تلك الفرق: الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والماركيونية والباردیسيانية والسيرنثييون والبارسكاليونية والبولسية والماينسية، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والفلنطانيائية والهرمسيون. و من أهم الفرق المنكرة لصلب المسيح الباسيليديون؛ الذين نقل عنهم كل من "سيوس" والمفسر "جورج سايل" القول بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني، وسماه بعضهم سيمون السيرناي.

ومن الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلاً عنه: الكورنثيون والكربوكراتيون والسيرنثيون. يقول جورج سايل ((إن السيرنثيين والكربوكراتيين، وهما من أقدم فرق النصارى، قالوا : إن المسيح نفسه

لم يصلب و لم يقتل، وإنما صلب واحد من تلاميذه، يشبهه شبهاً تاماً، وهناك الباسيليديون يعتقدون أن شخصاً آخر صلب بدلاً من المسيح.))

وثمة فِرق نصرانية أخرى قالت بأن المسيح عليه السلام نجا من الصلب، وأنه رفع إلى السماء، ومنهم الروسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية.

وقد استمر إنكار صلب المسيح لاحقاً أيضاً، فكان من المنكرين الراهب تيودورس (560م) والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص (610م) وغيرهم.

نائب الفاعل في الآية (و لكن شبه لهم)

في نقاشي مع بعض القاديانيين حول معنى الفعل (صلـــَبَ) إعترض أحدهم قائلاً: ((إسناد الفعل (شُبِّهَ) إلى الرجل الشبيه المصلوب غير جائز)).

أقول: هذا الإعتراض صحيح، لكننا لا نقول بأن نائب الفاعل هو الرجل المصلوب أو (الشبيه)، فنائب الفاعل محذوف في الجملة و يمكن تقديره بعدة تقديرات. و أرجح تقديره كالآتي (شبه لهم الأمر). فالأمر هو نائب الفاعل. و هذه الجملة تشمل كل نظريات نجاة المسيح عليه السلام.

و يمكن تقدير نائب الفاعل بالجملة المحذوفة (أنهم قتلوه و صلبوه هو). فتكون الجملة (و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم أنهم قتلوه هو و صلبوه هو).

و يمكن أيضاً تقدير نائب الفاعل بالكثير من الجمل المحذوفة. أذكر منها ما يلي:

- (و ليس المقتول و المصلوب هو المسيح و لكن شبه لهم أنه المقتول و المصلوب) أو
- (و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم أنه هو الشخص المقتول و المصلوب) أو
- (و ما قتلوا المسيح و ما صلبوا المسيح و لكن شبه لهم أنهم قتلوا المسيح و صلبوا المسيح نفسه) أو
- (و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم أنهم قتلوه و صلبوه هو). لاحظ أن الضمير (هو) هنا تكرار يمكن حذفه بدون أن يتغير المعنى. فتصبح الجملة (و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم أنهم قتلوه و صلبوه).

فالجمل أعلاه هي تكرار لمعنى الآية و هي تنفي أن يكونوا قد علـــقوه هو على الصليب.

كما و يمكن تقدير جملة (و لكن شبه لهم) كالتالي: (و لكن شبه لهم أنه هو المصلوب)
والمعنى من الجملة هو أن اليهود ظنوا المسيح هو المصلوب و المقـــتول بينما هم قد صلبوا و قتلوا غيره في الواقع.

و أرجو التدبر أكثر في قصة ابن حزم التي أوردها في موضوعي الأصلي. فابن حزم ظن أنهم صلوا على الحاكم و دفنوه بينما الواقع كان أنهم (ما صلوا عليه و ما دفنوه و لكن شبه لهم الأمر) حيث صلوا على غيره و دفنوه ظناً منهم أنه هو. فهم إذاً (ما صلوا عليه و ما دفنوه و لكن شبه لهم أنهم صلوا عليه هو و دفنوه هو) أو (ما صلوا عليه و ما دفنوه و لكن خيل لهم أنه هو من صلوا عليه و دفنوه). و كذلك أهل الكتاب فهم (ما قتلوا المسيح و ما صلبوه و لكن شبه لهم أنهم قتلوه هو و صلبوه هو) أو (ما قتلوا المسيح و ما صلبوه و لكن شبه لهم أنه هو من قتلوا و صلبوا).

هجرة المسيح عليه السلام إلى كشمير !!

أما ادعاء ميرزا غلام أحمد القادياني بأن المسيح عليه السلام كان قد هاجر إلى الهند و عاش فيها إلى عمر 120 عاماً فهو ادعاء في غاية التداعي. و قد أورد ميرزا غلام أحمد القادياني افتراءات عديدة لدعم قصته الخرافة تلك في كتابه "المسيح الناصري في الهند". و من تلك الإفتراءات ادعاؤه بأن البوذيين كانوا قد تعلموا اعتزال النساء من المسيح عليه السلام نفسه حين عاش بينهم في الهند و اختلط بهم. و لم يعلم مؤسس الجماعة الأحمدية بأن النصارى هم الذين ابتدعوا مسألة الرهبنة و اعتزال النساء. و لم يأبه ميرزا غلام أحمد القادياني إن كانت هذه هي رسالة نبي الله عيسى عليه السلام أم أنها كانت رسالة التوحيد. و لا أدري كيف يقبل عاقل بأن المسيح عليه السلام كان يعلم بدعة اعتزال النساء للبوذيين الكفرة بينما هو إله معبود في الغرب ؟ لقد أكد ميرزا غلام أحمد القادياني نفسه أن بولس الذي مات سنة 64 ميلادية هو من أول من فتح أبواب الكفر بادعاء ألوهية المسيح عليه السلام و موته على الصليب. فكيف لا يكسر المسيح عليه السلام الصليب و لا يحاربه لمدة 90 عاماً ؟. كيف يقبل الإختباء 90 عاما دون أن ينقض التحريف الذي أحدثه الضالون و نشروه على أنه هو كلام الله. و دون أن يقوم حتى بنشر إنجيل الله الحقيقي في الشرق؟ و كيف

ينشغل المسيح عليه السلام بنشر بدعة اعتزال النساء التي ابتدعها النصارى بعده ؟ إن هذا الاتهام لنبي الله عيسى عليه السلام هو البهتان العظيم.

و الناظر إلى كتاب "المسيح الناصري في الهند" الذي ألفه الميرزا غلام يستغرب من الإستنتاجات المضحكة التي ساقها الميرزا لإثبات ادعائه حتمية هجرة المسيح عليه السلام و أمه إلى كشمير. و أنا أعطيكم هنا بعض الأمثلة على استنتاجاته المتهافتة تلك:

هجرة مريم "المتزوجة" إلى كشمير !!

لا أدري كيف يقبل الأحمديون فكرة هجرة مريم عليها السلام إلى كشمير تاركة وراءها زوجها و أولادها و بناتها في فلسطين، فمع أن الميرزا يقر بولادة المسيح عليه السلام من غير أب إلا أنه يدعي بأن مريم عليها السلام تزوجت بيوسف النجار أثناء فترة حملها الإعجازي، و أنجبت منه أولاداً و بناتاً. يقول الميرزا غلام أحمد القادياني:

((كان سمو مريم بأنها أقلعت عن الزواج لمدة طويلة، لكنها و تحت الإصرار المتصاعد من وجهاء المجتمع – بسبب حملها – قررت الزواج. و قد أثار الناس اعتراضات حول زواجها أثناء فترة الحمل، فهكذا زواج يخالف تعاليم التوراة. و تساءل الناس عن سبب حنث مريم لقسَم العزوبية. و أيضاً جادل الناس حول سبب وضع مبدأ تعدد الزوجات. و بعبارة أخرى: لماذا وافقت مريم أن تتزوج بيوسف النجار رغم أن لديه زوجة أخرى؟. لكنني أقول بأن تلك الظروف كانت قاهرة. نعم كانت الظروف قاهرة، فبهذه الطريقة كانوا يتعرضون للنقد فقط بدلاً من أن تعتبر أعمالهم مثيرة للكراهية)) الخزائن الروحانية ج19 ص18

و يقول الميرزا أيضاً: ((خروج مريم مع خطيبها قبل عقد القران كان شاهداً على هذه العادة الإسرائيلية. فالخروج مع خطيب من بين النبلاء عند بعض القبائل قد تجاوز الحد إلى أن أصبح من الممكن الحمل قبل عقد القران)) الخزائن الروحانية ج14 ص300

و يقول الميرزا أيضاً: ((يسوع المسيح كان له أربعة إخوة و أختين اثنتين، كل منهم كان أخوه الحقيقي و أخته الحقيقية، أعني أنهم كانوا ذرية يوسف و مريم)) الخزائن الروحانية ج19 ص18

من الواضح أن محاولة الميرزا التقليل من أهمية معجزة ولادة المسيح عليه السلام هو ما أدى به إلى تبني هكذا آراء سقيمة، فهو يحاول أن يظهر المعجزة بمظهر الفضيحة التي حاولت مريم عليها السلام أن تتستر عليها. و هو بهذا ينفي أن الله سبحانه كان قد أنطق المسيح عليه السلام في المهد ليظهر نبوته و ولادته الإعجازية و ليبريء مريم عليها السلام من أية شبهة. فالميرزا يقول بأن نبوة المسيح عليه السلام استمرت فترة بسيطة، و هو بهذا ينفي أن يكون المسيح قد أعلن نبوته و هو في المهد. يقول الميرزا في كتابه "المسيح الناصري في الهند" ص68:

((كما أن المسيح لم تكن له قبل النبوة عظـــَمة تذكر حتى يحتفظ بذكراه، خاصة و إن عصر نبوته لم يتجاوز ثلاثة أعوام و نصف))

و الأحمديون لم يتساءلوا عن كيفية هجرة و اختفاء مريم عليها السلام دون أن يذكر ذلك كتبة الإنجيل أو المؤرخون عبر التاريخ ! و كيف تهاجر امرأة متزوجة و لها أولاد –حسب ادعاء الميرزا – إلى أرض بعيدة دون أن تأخذ معها أولادها و زوجها؟ و لماذا تهاجر و يهاجرون أصلاً ؟

أولاد المسيح الأفغان !!

يقول الميرزا في كتابه "المسيح الناصري في الهند" ص 76 بأنه لا يستبعد أن تكون إحدى القبائل الأفغانية هم أولاد عيسى عليه السلام نفسه، و ذلك لأن اسم القبيلة هو "عيسى خيل" !! فانظروا أي حجاج عقلي هذا بل أي استخفاف بالعقول!!

تعاليم بوذا و تعاليم المسيح

أما التشابه الذي ادعاه بين تعاليم المسيح عليه السلام و تعاليم بوذا فهو من التهافت الذي تأباه العقول. و برأيه فإن هذا التشابه دليل على هجرة المسيح عليه السلام (و ليس هجرة تعاليمه !!) إلى كشمير. و إليك هنا بعض الأمثلة التي ساقها الميرزا:

شياطين الجن عند بوذا و عند المسيح !!

أنظر مثلاً إلى قول الميرزا في كتابه كتاب "المسيح الناصري في الهند" صفحة 82: ((و كذلك تماماً يعترف علماء المسيحية بأن الشيطان الذي قابل عيسى عليه السلام لم يأته بصورة بشر مار بالطرقات و الأزقة بين أيدي اليهود، و لم يحدث المسيح كحديث الناس فيما بينهم بحيث يسمعه الآخرون أيضاً، بل كان ذلك اللقاء أيضاً صورة من الكشف رآها المسيح وحده، و كان الحوار بينهما وحياً شيطانياً ... أي أن الشيطان بحسب عادته القديمة، ألقى في قلب المسيح بشكل الوسواس، و لكن قلب المسيح لم يقبل هذه الوساوس الشيطانية، بل رفضها كما فعل بوذا))

و برأي الميرزا فإنه ما دامت قصة وسوسة الشيطان هذه مذكورة عند بوذا أيضاً فإنها تجزم بأن عيسى عليه السلام عاش في كشمير مع البوذيين فترة طويلة !! و العجيب أن القاديانيين ينفون وجود الجن الذي يوسوس للناس أصلاً و مع ذلك يرون حجة زعيمهم هذه باهرة و مقنعة!!

بوذا العاق لإبنه و المسيح العاق لأمه – حاشاه !!

أما قصة المدعو "راحولة" ابن بوذا الذي تركه بوذا و هرب فهي تشبه في نظر الميرزا قصة عقوق المسيح عليه السلام لأمه و كلامه معها بألفاظ نابية – حاشاه!!! و مع أن الميرزا ينفي صحة قصة عقوق المسيح عليه السلام لأمه و ينفي أيضاً قصة عقوق بوذا لولده إلا أنه يستدل بتشابه هذه القصة مع قصة "راحولة" على أن المسيح عليه السلام قد هاجر إلى كشمير !! أنظر ص96 من كتاب "المسيح الناصري في الهند".

تناسخ الأرواح عند بوذا و عند المسيح – حاشاه!!

يقول الميرزا في الصفحة 99 في نفس الكتاب "المسيح الناصري في الهند":

((وكان بوذا يعتقد بالتناسخ، و لكن تناسخه لا يخالف تعاليم الإنجيل، إذ التناسخ عنده على ثلاثة أقسام:
أولاً: أن عزيمة الإنسان على المزيد من الأعمال تقتضي جسماً آخر بعد الموت

ثانياً: هو ما يعتقد أهل التبت بوجوده في زعمائهم الدينيين "لامات"، و هو أن جزءاً من روح بوذا أو زعيم بوذي آخر يحا في "لاماتهم".. أي أن قوته و طبيعته و خواصه الروحية تنتقل إلى "لاما" الحالي، و روحه تؤثر فيه.
ثالثاً: أن الإنسان لا يزال يمر في حياته في الدنيا بأنواع الولادة إلى أن يصبح إنساناً حقيقياً حسب خواصه الذاتية، حيث ينعدم وجوده الأول و يكتسب وجوداً ثانياً بحسب أعمال وجوده الأول ...إلخ))

إن جعل هذه العقيدة الكفرية – و التي أقرّها الميرزا – وجهاً للتشابه بين تعاليم المسيح عليه السلام و تعاليم بوذا لهو من التهافت و الشناعة التي ترفضوها قلوب المؤمنين و تأباه عقولهم. و بالنسبة للميرزا فإن هذا التشابه في الإيمان بعقيدة التناسخ هو دليل على هجرة المسيح عليه السلام بنفسه إلى كشمير !! فانظروا هداكم الله إلى هذه المحاكمات العقلية الفارغة.

عمر المسيح عليه السلام

أما بالنسبة لعمر المسيح عليه السلام عند وفاته فقد اعتمد ميرزا غلام أحمد القادياني على حديث ضعيف غريب ذكر فيه ((إنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش نصف عمر الذي كان قبله، وإن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة وإني لا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين – المعجم الكبير للطبراني)). و هذا القول بأن كل نبي قد عاش نصف مدة النبي الذي سبقه قد ثبت خطؤه. ولو كان صحيحا لكان عمر سيدنا آدم و إبراهيم و غيرهم من الأنبياء ملايين الملايين من السنين. وأنا لا أنفي هنا موت المسيح عليه السلام بل العمر الوارد في الحديث لأن الحديث ضعيف الإسناد و متنه يخالف العقل و المشاهدة. و بهذا يتضح سقوط هذا الإستدلال.

و بالمناسبة فإنني أقول للأحمديين المصرين على إثبات هذا الحديث الضعيف : إن نبيكم المزعوم لم يمت في الثلاثين من عمره كما يشير هذا الحديث. فلا أدري مغزى تعلقكم به ؟!!.

و الأحمديون يدعون أن النبوة باقية بعد محمد صلى الله عليه و سلم. فهل يعقل أن النبي القادم – على حد زعمهم – سيموت بعمر 15 سنة !!!. و الذي بعده سيموت و عمره 7 سنوات !!! مع أن الله لا يرسل إلى البشر إلا رجالاً يوحي إليهم!! ألا يتقي هؤلاء الله في عقولهم ؟!!.

و ميرزا غلام أحمد القادياني نفسه قال بأن الله بشره بأنه **سيحييه ثمانين عاماً أو أكثر عدداً**. أنظر إلى ما يقوله في كتابه (مواهب الرحمن)::

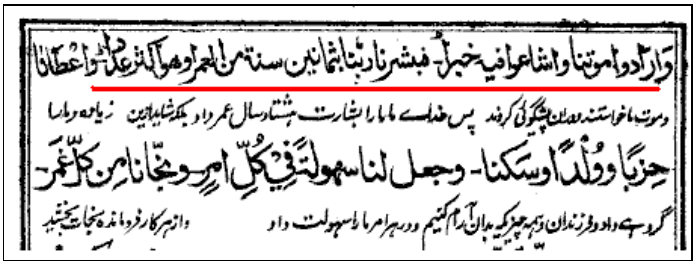
وَارْدُوا مَوْتَنَا وَاشَاعَوا فِي خَبَرِنَا فَبَشَّرَنَا رَبُّنَا بِثَمَانِينَ سَنَةً مِنَ الْعُمُرِ وَهُوَ أَكْثَرُ عَدَدًا وَأَعْطَانَا
وموت ما خواستند و دران پیشگوئی کردند پس خدائے ما ما را بشارت هشتاد سال عمر داد بلکه شاید ازین زیاده و ما را
حِزْبًا وَوُلْدًا وَسَكَنًا وَجَعَلَ لَنَا سُهُولَةً فِي كُلِّ أَمْرٍ وَنَجَّانَا مِنْ كُلِّ غَمٍّ
گروهے و اولاد و فرزندان و همه چیزیکه بدان آرام کنیم و در هر امر ما را سهولت داد و از هر کار فرو ماندۀ نجات بخشید

لكن الله أبى إلا أن يكذبه و يزهق باطله فأهلكه قبل سنوات مما كان يأمل. (وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا).

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فؤاد العطار ( ) fuad@37.com